[٥]

ثلاث ملاحظات من « كفار يوفال »

مرة أخرى ، صمم أربعة فدائيين على أن يروا ثرى فلسطين بدمائهم . ودم الشهيد عطر الارض ، وأرض فلسطين اليه ظمأى . والدم ضريبة واجبة السداد وبدون تأخير عندما لا يصير لدى المرء ما يفقده سوى حياته ، فيحسب تأثيرها وأثرها في البشرية منذ وجدت الى أن يرث الله الارض ومن عليها ، فيكون الاقدام على الاستشهاد هو الفعل الوحيد الذي يجعل للحياة معنى . والاستشهاد هو الشهادة على براءة النصر ، والشهادة أيضا بأنه طالما هناك من يدفعون حياتهم ، وعن طواعية ، ثمنا . فان المستقبل لن يكون الا للشهداء . للعالم الذي يريدون ، ومن أجله يستشهدون ، وللحياة التي تمنوها ، فمدوا أجسادهم جسرا اليها ، وبالدماء رشوا الطريق ليعبدوها ويمهدوها . والانسانية الحقة ، على ضفاف الاستشهاد تنمو . وطعم الشهادة لا يعرفه الا من يكابده . وحين تصعد روح الشهيد لا يستطيع ان يكرر الفعل ، ولا يحدثنا عن التجربة ولكنه يدعونا ان نتذوقها ويقول لنا تعالوا الي . ويضيف : ولا تكونوا مع الذين يقولون لاخوانهم هلموا الينا ، ولا يأتون البأس الا قليلا . والكلمات صامتة ، عاجزة ، عيية ، متحجرة ، أما الاستشهاد فناطق بأوضح لسان ، وبأفصح بيان . واللعنة على من يبيع الكلمات ويتاجر بالقول دون الفعل .

هذه بعض حكمة الاستشهاد . وما نراه نحن — حقا وصدقا — الشهادة والتضحية ، العدو لا يراه — ولا يمكن ان يراه — الا ارهابا وعدوانا ، مع ان العدو هو آخر من يحق له الحديث عن الارهاب والعدوان . وحين ترمي اسرائيل بعض أعمالنا بأنها ارهاب وعدوان ، يجب ان لا نفزع من ذلك .

وفي ضوء هذا ، يرد على ما جرى في كفار يوفال — وهي مستعمرة زراعية في الجليل الاعلى المغتصب منذ سنة ١٩٤٨ — ثلاث ملاحظات حول التباكي الاعلامي الاسرائيلي اولا وحول السرية المطلقة التي فرضتها اسرائيل على هذه العملية ثانيا ، ثم ثالثا واخيرا العجز الاسرائيلي امام العمل الفدائي الفلسطيني .

● اسرائيل — ومن قبلها ومعها الصهيونية بكل اخطبوطها العالمي — بارعة ، ماهرة في الاعلام وفي ميدان الدعاية واستثارة العواطف . وخبراء الدعاية الاسرائيليون يعرفون كيف يخاطبون الرأي العام العالمي والغربي بصفة خاصة وكيف يستميلونه اليهم ، او يزيدون ميله اليهم . ولذلك أصبحت تتكرر في كل عملية فدائية ينفذها الفدائيون في احدى مدن او مستعمرات اسرائيل ، صورة الام التي فقدت طفلها في هذا الهجوم . الطفل هذه المرة رضيع بل ان وكالة انباء امريكية هي الاسوشيتدبرس قالت ان الارهابيين احتجزوا عدة اطفال ، جرح واحد منهم !! فضلا عن ان الاسرة كلها نكبت بالقتلى والجرحى . نفس الشيء قالته اسرائيل من قبل تقريبا في عمليات مماثلة في كريات شمونه ، ومعالوت ، وبيسان . والحديث عن الاطفال « اليهود » نغمة ثابتة في الاعلام الاسرائيلي والصهيوني . ما من فيلم صهيوني عن الحرب العالمية الثانية الا وتجد فيه بشكل او آخر لمسة عن الاطفال .

ان التصوير الاسرائيلي مهما كانت براعته لن يضلل الا الذين حددوا مواقفهم وانتهوا الى مناصرة اسرائيل على طول الخط ، والذين لا يكلفون انفسهم مؤونة السؤال : وماذا عن الاطفال العرب ؟ في دير ياسين وكفرقاسم وبحر البقر والكرامة وقلقيلية وغيرها وغيرها ، او ماذا عن هؤلاء الشباب في عمر الورود يقومون بعمليات انتحارية . لماذا .. لماذا ؟

والتباكي الاسرائيلي الدعائي لا يمكن ان يغطي على القتلة الحقيقيين . والعالم لم يعد أصما عن سماع كلمة الحق العربي .

● فرضت اسرائيل سرية مطلقة او « تعتيما » على انباء العملية . ولم تخرج من اسرائيل الا الصورة الرسمية التي يريد قادة اسرائيل ان ينقلوها الى العالم ، بل والى مواطنيهم أيضا .